بأسلحة سبتمبرية أعلن الثوار من ردفان ولادة أكتوبر

اجتمعوا في صنعاء وعسكروا في تعز وفجّروا الثورة في عدن

■ اقتضت الطبيعة الرجعية والاستبدادية لنظامي الحكم الامامي والاستعمار البريطاني في صنعاء وعدن قيام نوع من التحالف غير المعلن بين الجانبين طوال عقود رغم بروز حالات ومظاهر خلاف توحي بتقاطع او تناقض الطرفين هنا وهناك.. إلاّ ان السمة الابرز والاهم كانت واضحة في تعامل الجانبين مع الشعب اليمني بطريقة المصادرة والاستبداد وقمع الارادة الحرة والوطنية لجماهير الشعب وحرمان الوطن وابنائه حق التحرر والتطور والانفتاح على العالم.

إعداد/أمين الوائلي

الطبيعة الاستبدادية لكليهما شكّلت حلفاً غير معلن بين الإمامة والاستعمار

إعلان انتصار ثورة سبتمبر وقيام الجمهورية كان إعلاناً ضمنياً بانتصار ثورة أكتوبر -قريباً

واذا كان الاستعمار قد اختلف عن الامامة في كونه وافداً من خارج الحدود ويمثل ثقافة اجنبية مختلفة اصلاً وفصلاً وغريبة عن البيئة اليمنية ويعتمد منطق القوة والقهر وقمع الارادة الشعبية والوطنية لبناء البلاد الاصليين واصحابها الحقيقيين، فإن الحكم الامامي هو الآخر لم يكن أقل من الاستعمار خطراً وضرراً.. فالقهر والقمع وتحويل البلاد الى سجن كبير ومغلق على اليمنيين امام العالم كان هو القاسم المشترك الذي وحد وجمع النقيضين في تحالف رجعي استبدادي جثم على صدر الوطن الواحد عقوداً طويلة واستدعى من ابناء الشعب ورجالاته التفكير كثيراً بالانعتاق والتحرر وتوحيد الجهود والافكار والطاقات لكسر الحصار ودك الاسوار العالية المزروعة في مواجهة الضوء والهواء والحرية الأثمن.

كانت المعاناة واحدة هنا وهناك، والهم عينه في صنعاء وعدن ولحج وتعز والضالع وإب ومكيراس وذمار وفي كل بقعة من أرض اليمن.

وهكذا هم اليمنيون دائماً.. وحدة واحدة في المعاناة والنضال كما هم وحدة في اشراقات التاريخ الممتد وصباحات الحضارة التليدة منذ آلاف السنين.. اليمن الواحد يحضر واحداً في مسرح التاريخ على تعاقب فتراته ومراحله وتقلب ازمنته وفصوله.

لم يكن بالإمكان الاعتماد على الامام في مقارعة المستعمر او الاستفادة من المستعمر في التخلص من الامام.. اذ كانا يشكلان حائط صد يقي به كل منهما صاحبه ويحفظ ببقائه بقاءه ايضاً.. ادرك الثوار والاحرار ان دك الحائط يقتضي الاجهاز على الشريكين المستبدين معاً، وان المراهنة على احدهما في مواجهة الآخر ما هي إلاّ مراهنة خاسرة وخادعة ولا أساس لها بالمطلق.

الطبيعة الثورية لأبناء اليمن الواحد شكّلت وحدة نضالية معلنة في وجه الرجعية

لم يكن بالإمكان الاعتماد على الإمام في مقارعة المحتل او الاستفادة من المستعمر في التخلص من الإمام . . وقرار الثوار دك الجدار على الاثنين معاً

وثبت مع الايام والتحولات المتعاقبة ان حركة النضال الوطني كانت أكثر ذكاء ووعياً بمفاتيح التغيير حيث توحدت الجهود والطاقات في انجاح وتفجير الثورة الأم في السادس والعشرين من سبتمبر ٦٢م، بصنعاء والدفاع عنها ليتمكن الثوار بعد ذلك وبعد الفراغ من العدو او المستعمر المحلي والداخلي «الإمامة المستبدة»، من التفرغ للعدو والمستعمر الخارجي «المحتل».

كان اعلان الثورة وقيام الجمهورية في الشمال يحمل في طياته ومضامينه الوطنية والتاريخية أكثر من وعد واعلان.

اعلان الثورة وانتصارها في صنعاء اعلن ايضاً عن بدء مرحلة اخرى من النضال والكفاح وصولاً الى الثورة والاستقلال في عدن.. ولم يكن ممكناً استثناء هذه من تلك او اهمال ضرورة الامتداد بالثورة وتوسع المد الثوري ليشمل كل ارجاء اليمن وصولاً الى عدن ودحراً للمستعمر المحتل.

لم يكن المستعمر يقبل بالثورة في صنعاء لأنه يعلم ان بدايتها تؤذن بنهايته.. ولم يكن الإمام يفكر بدعم الثورة او الحركة الوطنية في الجنوب، لعلمه أن الحرية لا تتجزأ وان الثورة واحدة كما هو الشعب واحد واليمن واحد وستصل اليه الثورة، خصوصاً والحركات الوطنية لاتزال تستهدف حكم الامامة وظلم الأئمة بدءاً من ابيه يحيى وتعاقباً عليه.

لكن نجاح الثوار وانتصار ثورة سبتمبر قطع الطريق امام الرجعية كلها وامام المستعمر الذي لعب على التفرقة وتغذية الخلافات الداخلية.

حتى اذا دوى نشيد الحرية والثورة في صنعاء وتعز.. تجاوبت معه عدن والتحم الثوار في وحدة نضالية لايصال المد الثوري الى الجزء الآخر والضفة الباقية من اليمن.

هكذا مروا الى أكتوبر.

يقول اللواء الركن محمد راجح لبوزة «نجل الشهيد البطل لبوزة» نائب رئيس هيئة الأركان العامة:

- وقد مثل انتصار ثورة ٢٦ سبتمبر وسقوط النظام الامامي وقيام النظام الجمهوري التمهيد الموضوعي للكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني في جنوب الوطن «سابقاً» وبعد مشاركة الثوار من ابناء الجنوب في الدفاع عن الثورة السبتمبرية، بدأت مهمتهم الوطنية في تحرير جنوب الوطن من الاحتلال البريطاني، بالسلاح السبتمبري، وبدأ ابناء الجنوب عقد اجتماعاتهم في صنعاء وكان اول اجتماع لهم عقد في يونيو ٦٢م، بدار السعادة بقيادة المناضل الفقيد قحطان الشعبي وحضور الشهيد البطل راجح غالب لبوزة والمناضلين السماطي والسيد ناصر السقاف وغيرهم، ثم اجتماع آخر في تعز في اغسطس ٦٣م، الذي اتفق فيه الجميع على مقاومة الانجليز بكل الوسائل وبعد الاجتماع بقحطان الشعبي والثوار الآخرين، عاد الوالد الشهيد راجح لبوزة الى ردفان على رأس مجموعة من الثوار من ابناء ردفان، ولما ادركت سلطات الاحتلال ابعاد وخطورة عودة الثوار الى ردفان باسلحتهم السبتمبرية، وبما يحملون من افكار وقناعات تحريرية حاولت ان تفرض عليهم تسليم اسلحتهم واخضاعهم لها، وحركت حملة لهذا الغرض ولكن الشهيد لبوزة ومجموعته تصدوا لها بما يمتلكون من اسلحة وذخيرة وقنابل واعلنوا الثورة ضد الاحتلال في الـ١٤ من أكتوبر عام ٦٣م، واستمر القتال يومها حتى بعد الظهر من نفس اليوم الذي استشهد فيه الوالد الشهيد البطل راجح غالب لبوزة «٢٦ سبتمبر-١٢/١٠/٢٠٠٦م».

كانت الاسلحة سبتمبرية اذاً.. لم تهدأ البنادق او تبرد.. ولم يسترح المناضلون ولو قليلاً.. الطريق من صنعاء الى عدن كانت هي ذاتها الطريق من سبتمبر ٦٢م، الى أكتوبر ٦٣م.. وقد قطعها الثوار والاحرار والمناضلون اسرع ما يكون وما هو إلاّ عام واحد حتى دوى نشيد الثورة وهتافات الثوار في ارجاء ردفان واعلنت عدن الابية ثورة ضد الاستعمار والمحتل الاجنبي.

بين تعز وعدن..طريق الثورة

وفي هذا السياق يؤكد المناضل الشيخ صالح احمد اليافعي ان مدينة تعز كانت تشكل معسكراً متكاملاً لثوار ١٤ اكتوبر للثورة ويقول:

- كانت مدينة تعز في تلك الفترة ٦٤م، عبارة عن معكسر سياسي وعسكري للتدريبات.. حيث تم فتح منطقة صالة ليقام فيها معسكر لتدريب الفدائيين ومختلف المقاتلين الذي كانوا يخوضون المعارك في جبهات قتال عدن ضد الاستعمار البريطاني.

كذلك كانت منطقة الحوبان معسكراً لجيش التحرير في عدن.

وكانت اذاعة تعز بمثابة المركز الاعلامي لاذاعة البيانات والبلاغات والاناشيد الوطنية حتى تحولت تعز الى معسكر متكامل لثوار ثورة ١٤ اكتوبر بكل ما كانت تعنيه الكلمة في تلك المرحلة.

وفتح ابناء تعز بيوتهم وقلوبهم للجميع فاصبحنا جزءاً منهم واصبحوا جزءاً منا، حيث تحولت هذه المدينة الوفية الى ملاذ للمناضلين بمختلف توجهاتهم الفكرية والسياسية وكانت تستقبل الوافدين من المناطق الجنوبية وبالذات من عدن حيث كان الاستعمار البريطاني يلاحق كافة الثوار. «١٤ أكتوبر ١٤/١٠/٢٠٠٦».

ظاهرة الفقر ومكافحته

عبدالقادر الشيباني

■ قال شاعرنا العربي القديم:

«بالعلم والمال يبني الناس مجدهم
لايبنى مجدٌ على جهل وإقلال»

● فالتحسين المعيشي والتحصيل التعليمي هما أول الصعود على درجات سلم المجد، وبداية التخلص من الفقر الذي هو معضلة العالم الكبرى، فإذا حل الفقر في أرض قوم سيقلل الالتحاق بالتعليم.. فأين إذاً المهرب من محنة الفقر؟!.. الواقع ان الفقر مشكلة عالمية، ومشكلتنا من المشاكل ذات الجذور العميقة خاصة مع الزيادات المرتفعة في تعداد السكان، إن حدة الفقر قد بلغت إلى درجة ان عدداً متزايداً من الأسر باتت غير قادرة على تلبية الحاجات الأساسية من الغذاء والدواء والخدمات الضرورية، مع هذا فإن الحكومة كانت قد تبنت من سابق برنامجاً للإصلاح الاقتصادي وبدأت التنفيذ بالفعل وذلك قبل عدة سنوات تحديداً من عام ١٩٩٥م إلاّ ان الآثار الجانبية لذلك البرنامج كانت شديدة الوطأة على الفئات الفقيرة حتى إذا كانت هناك تباشير وأمل بالتخفيف من الفقر فهي مؤقتة سرعان ما تتلاشى الآمال فعلى الرغم من الزيادات الأخيرة للأجور في الاستراتيجية إلاّ ان المشكلة لم تخفف فتلاعب التجار بالأسعار محنة باقية ومرافقة لمحدودي الدخل إلى حد تحول بعضهم إلى فقراء.

● جاء في إحدى الدراسات الاقتصادية عن الفقر والديمقراطية والحالة اليمنية فيها للدكتور ياسين الشيباني «ان تقارير التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة تصف اليمن ضمن مراتب الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة وفقاً لدليل التنمية البشرية، إذ احتلت اليمن المرتبة ١٤٨ من بين ١٧٤٠ دولة، حيث بلغ متوسط دخل الفرد ٢٥٤ دولاراً أمريكياً عام ١٩٩٨م أما اليوم فقد لايتعدى على أحسن التقديرات ٤٥٠ دولاراً».

● وتتجلى مظاهر الفقر في المجتمع اليمني من خلال تدهور المستوى المعيشي وقلة نصيب الفرد من الغذاء وتدني نسبة الملتحقين بالتعليم، بما يعنيه ذلك انتشار الأمية رغم ان هناك نسبة ناجحة في مكافحة الأمية والجهل.. ولامهرب من القول: ان هناك سوءاً في الخدمات الصحية خاصة في الأرياف والجزر اليمنية مع انتشار الأمراض وارتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال، وانخفاض معدل العمر المتوقع عند الولادة، وزيادة معدلات البطالة وتزايد ظاهرة التسول.. نستخلص من كل ذلك ان الصحة الجيدة والتحصيل التعليمي حجرا الزاوية للموارد البشرية عالية المستوى.

● ولهذا اتجه العلماء والباحثون إلى إضافة التعليم والصحة إلى قائمة الاحتياجات الأساسية، وعلى ذلك فإن الكثير من الأسر الفقيرة لاتمتلك موارد كافية لتوفير التعليم والصحة لأبنائها غير غافلين عن القول بأن الأمراض والصعوبات الصحية التي تفوق مسار التنمية في السنوات المبكرة تؤثر على الفقراء أكثر من الأغنياء.

● وعن الفقر والموارد البشرية أبرز مجموعة من المحللين الاقتصاديين في البنك الدولي ان الأدبيات والدراسات المنشورة التي تربط بين الفقر والتعليم والصحة في كثير من دول ومناطق العالم زاخرة ومتنوعة، ولكن تعد الدراسات التي أجريت في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا شحيحة وضئيلة.

● وبالرغم من تحسن المؤشرات الاجتماعية في اليمن فانها تعد في أدنى المستويات في المنطقة والعالم.. وحسب تقدير صفاء الكوجلي المحلل الاقتصادي في البنك الدولي وسليمان الضوء المختص هو الآخر في علوم السكان وصحة الأسرة انه تنتشر بين كثير من أطفال اليمن معدلات عالية من أعراض سوء التغذية، وأكثر من نصف الأطفال دون الخمس سنوات يتصفون بقصر القامة، وتبدو بنيتهم الجسدية أقل من أعمارهم الحقيقية.

● وإذا ما نظرنا إلى ظاهرة الفقر في العالم سنجد المعضلة أكبر فبالرغم من التقدم المذهل الذي احرزته البشرية في مختلف المجالات وبالرغم من التحسن الكبير في مستوى المعيشة الذي طرأ على حياة ملايين الناس فمازال الفقر يمثل مشكلة إنسانية، ومما يزيد الأمر سوءاً ان جهود مكافحة الفقر على الصعيد العالمي متواضعة أو قل محبطة ففي العقدين الأخيرين بدأت العديد من الدول النامية، بناءً على نصيحة المنظمات الدولية، وخاصة صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي برامج الإصلاح الاقتصادي والتكيف الهيكلي، المهم نقول: «هل عند كل هذه الجهات المعنية من حلول مستقبلية لمعضلة الدول النامية وفي مقدمتها الفقر؟